

فرات المحسن

بوسترات



قصص



ألف ياسين
Alf Yaseen

بوسترات

المؤلف: فرات المحسن

الكتاب: بوسترات (قصص)

صدرت النسخة الرقمية: تموز/ يوليو 2025

الطبعة الأولى: 2021 دار نشر اوروك ميديا - ستوكهولم - السويد

- الناشر: "ألف ياء AlfYaa"
- الموقع الإلكتروني: www.alfyaa.net
- جميع حقوق توزيع النسخة الرقمية بكل التنسيقات (PDF، ePub و/أو أي تنسيق رقمي آخر محفوظة لـ "ألف ياء AlfYaa"
- جميع الحقوق الفكرية محفوظة للمؤلف
- يعبر محتوى الكتاب عن آراء مؤلفه.
- "ألف ياء AlfYaa" ناشرة للكتاب فقط.



- تصميم الغلاف والإخراج: طالب الداود

فرات المحسن

بوسترات

قصص

الفهرست

7	دعوة لكابوس
11	ما زلت أوطن كابوسي
15	هجرة
19	الصمت
23	قيل لي
29	غربة
33	خذلان
37	دعوه يعد النجوم
41	كان هناك
47	متاهة
51	ضيوف وملل
55	حوار
61	أبناء الله والدولة
67	لوحة/ بيت من بيوت الله
73	ثمن النصر
79	بوسترات

دعوة لكابوس

دُعيتُ لوجبة بكاء مر... فقبلت، فجیعة أعلنوها فكنت أحدهم
ومثلهم محرضا عليها. قالوا تعال نسكب الدمع فلسنا سوى أبناء
بررة لهؤلاء القتلى كل يوم عند منعطفات الشوارع.

كانوا حفنة بشر دون ملامح يتوارثون المواجه وسط
الصخب. لم أدخر شيئا تلك اللحظة فروحي عافت جسدي
وأمست معلقة بأرجوحة وجوه الموتى فتناولت منديلي وبكيت.

ضجوا مهللين وهم يشاهدون دمعي المسكوب، صمتوا
يترقبون حسرتي وتأوهي فغافلتهم وتسربت مني ضحكة
ضاجة.

لم أجد الساعة مخرجا لحزني غير الضحك، فليس في
جسدي ما يثير الشجون.. ثبتُ إلى رشدي، انتابني القلق أن
أكون قد أصبت بلوثة .. حملقت بأجساد الموتى وكنت حينها
وجلا مرعوبا، أخفيت نشيجي فتورم صدغي وأرتفع ضغط
دمي. تحسست ورقة الدعوة فدعكت دمعتي وأخفيتُها في جيب
سروالي، أخفيتُها عدة لأيام قادمة، ربما أذرفها أو أبيعها لموت
جديد.

كنت أرتجف وجسدي يتفصد عرقا، تلمست ورقة الدعوة
مرة ثانية.

ندمت، فقد كنت عجولا حين قبلت الدعوة دون تردد.
صمتُ وأخفيت صوت نشيجي في المنديل.. عندها كانت

حدقتا عينيّ تحدقان في الفجيرة البعيدة.

يرتفع ضغط دمي مجددا وترتخي الشرايين في صدغي
لتستوعب هديره. أطلع أفقا مغبرا بهيميا تنط منه رؤوس دون
ملاح .. رحت في نحيب طويل متواصل، يتساقط دمعي فوق
راحة يدي فيبدو بلورا شفافاً.

استيقظت فزعا وتلمست جيب سروالي فتأكدت من وجود
الورقة. فقد كنت أنتظر دعوة جديدة في يوم آخر أهرب فيه من
فجيعتي.. الخاصة.

ما زلت أتوطن كابوسي

في أحلامي التي لم أدمن تفسيرها.. أغواني العراف للمرة
الألف أن أشي للغربان والصعاليك عن موضع أساي
ووحدي، فحملوا معاولهم ومجارفهم وأهالوا على جسدي كومة
حزن آخر، فشاطرتهم حفل الفجيرة .

كان ذلك يوماً آخر لم أفكر في اجتيازه أو مغادرته، أخيراً
وضعته في جعبتي وغفوت وحين استيقظت وجدته جوارى..
كان هناك من ينتظرني. ثمة أشخاص أعرفهم منذ سنواتي
البعيدة.. وجوه غاضبة غصت بها فسحة روحي، تدرج مثل
القطا لتخرج من نفق معتم فاستقبلها ببلاهي.

هو يوم آخر مفعم بالأحزان والجذب، لم يغادرني بعد أن
ارتضاه خوفي... يلتصق جوارى مثل حلزون لزج.

ضجرت، صرخت أن أبتعد.. وضع كفه فوق صدغي
فغفوت.. همس في حلمي.. أصمت أيها البائس هذا خيار
جسدك وأنت ارتضيته فكفّ عن الشكوى والهذر.

كانت الشمس تسقط ضوءها مثل جمرات نار.. نرّ جسدي
عرقاً ساخناً حين استيقظت، وكانت كفه تضغط فوق صدغي
الناط العروق.

يوم آخر جاورني لا يريد أن يغادرني.. فأجهشت بالبكاء
وما زلت أوطن كابوسي

هجرة

في البعيد، حيث المدن ترتاب من الغرباء
كنت أغذ السير وحيدا
مسربلاً بخوفي.. مهزوماً أنتظر هزيع الليل ليمضي، مخلفا
ورائي ندور أُمي
وأراجيف البرابرة التي ما عافتني يوما.
ها أنا ذا أتنصت ضجيج عربات القطار.. قادمة تشق صدر
الغيم
أمسكت سحب دخانها وهرولت
وكان لهاثي يلاحقني
كنت قادماً من حيث لا مكان، أرقب العشب الندي النامي في
مدن تفترشها البهجة.
عجزت عن أن أعد العربات، ولكني اجتزتها جميعا،
وأعدت لها أصوات صفاراتها ودست دخانها في حجراته
فالمدن البعيدة تخشى الغرباء ولكنها لا تستحي من قرع
عجلات القطارات مادامت لا تصدر صريرا.
في جوف العربة السادسة ، لم أكن أعرف ما أفعل، توسدت
فردتي حذائي وغفوت.
ملا بسهم الداكنة تخفي هراوات علقت بأحزمة جلدية،

وأكتافهم تطرزها خيوط.

تسلقوا دكات العربية اليايسة فلم أسمع لهم ضجيجا.

كنت في الزاوية القصية مبتلا أرتجف، وصوت نحبي
يلتصق بجدار العربية البارد:

تعال.. هلم أقترب.. تعال لا تخف!

بأصواتهم المبحوحة المتشنجة جعلوا جسدي يتفصد عرقا،
وأطرافي ترتعد بإفراط.

اقترب.. تعال

كانوا يتبادلون نظرات من خبث حاد

قالوا جميعا بصوت حازم جاف

ليس لك أن تجتاز مدننا، فعد من حيث أتيت

تحسستني أياديهم الثقيلة ثم أطبقت على جسدي بخشونتها

حشروني في زاوية قصية عند العربية السادسة لقطار كان
عائدا نحو مدني القاحلة الملوثة بطنين الهجرة

وهناك حيث أراجيف البرابرة تدوس في طريقها ببسالة
شيطانية نذور أمني وأدعيتها

غفوت أحلم بمدن تفترشها البهجة.

الصمت

كنت في الرابعة والعشرين من عمري حين أدخلتني الحرب موقدها . حينها لم أعد أمتلك رغبة لمراجعة دفاتري أو إعادة قراءة ما دونته من قصائد خلال فترة الدراسة، ولا حتى في زمن البطالة التي نخرت روحي. ومثلما خسرت كل ذلك، تركت ورائي أحلامًا كثيرة وضجة حياة ببريقها الخلاب وكبواتها الموجعات.

الراتب الأول لجندي كان يعني ليّ الكثير. في جميع الاحتمالات، ومهما قادني تفكيري نحو أشياء رغبت في طفولتي الاستحواذ عليها، أو تولدت عندي فكرة لمقتها، فذلك الذي أمسكته يدي اليوم، كان راتبًا استلمته كأجر عن مهنة حكومية، وظيفة حكومية، يا لها من أصفاد ثقيلة، ومبعث لمزاج عكر. الوظيفة دائمة ما عافتها روحي وكرهت ممارستها، وافزع حين ينبهني أحد عليها، فأنا أكره القيود، ولا أود أن يكون هناك مكان تافه يضمني برتابته، لأصبح مثل مناضد تثار خلفها الثثرة.

ادخرت الراتب لأسلمه لأمي في اليوم الأول من إجازتي. شع من عينيها بريق فرح، وحبست أنفاسها وهي تدس الأوراق الملونة تحت شيلتها الكالحة، دون أن تعدّها، فقد أكتفت بسماع الرقم حين خرج من فمي. لم يسبق لشيلتها أن أخفت مثل تلك الأوراق المبهرة، ولا حاجة لها للتفكير بما يعنيه ذلك المبلغ، مثلما كان يعني لي كأجر مدفوع عن منح جسدي كاملاً لمحركة

لم أجد مبررًا لها في ذهني. ولكني دون تفكير طويل أو نقاش قبلت تلك المهنة ، كونها المنفذ الوحيد المتبقي أمامي ، ومعها اخترت الصمت.

قيل لي

قيل لي، وأنا أقترب من مكتب السفر، وكان هذا كل ما جاء
عبر هاتفهم، أن كل شيء هادئ ودود في انتظار. كم جميلة
هي العودة بعد شح ويباس سنين الغربة الطوال؟

الرسالة الأخيرة منهم أشارت للكثير من الأشواق والمحبة
واللهفة، وأجمل ما فيها، كان لوعة حب صادقة.

صدّقت فقادتني نفسي للبحث عن بطاقة للسفر. آخر الأيام
قبل السفر كنت عبدا لجهاز الحاسوب فلم أفارقه طوال ليلتين.
بحثت في طياته عن بطاقة سفر أردتها أن تكون مباشرة
لمدينتي ولكن جهودي ذهبت سدى. ففي مدينتي لم تضع
سلطاتها المحلية في حساباتها عودتي لذا استغنت عن المطار.

في المكالمات الهاتفية الأخيرة قيل إن المدينة تبحث عن
أناشيدي وإن الشوارع معشوشبة لأجلي وبكاء الصبايا كان
ندى الحقائق وعطرها، قيل ذلك في الهاتف فأوغلت في صمتي
الودود وصدقت بكامل جوارحي كل نثار الحكايات وامتلاً قلبي
ولها.

عجولاً كنت فأفشيت سري لشرطي ارتدى رتبة سادن،
أسمعته بعض أناشيدي، هو من هاتفني وطلب مني العودة،
ربما؟! لا أتذكر ذلك جيداً، أكان أبي؟ اعتقدت ذلك، حبيبتي!
جائز، أم هو صاحبي الذي نسيت اسمه، عند التجوال دون
حساب، في عشرات المدن الباردة. كلا سمعت صوتاً أجش

ميزته دون غيره، إنه أستاذي في آخر صف جامعي كنت قد هربت ودفاتري منه قبل نهاية الفصل الدراسي...

قيل إن النخيل بكاني حين تذكر حادثة هروبي وما زالت هناك شتائم تطلق ضد من تسبب في نفيي وتغربي، قيل لي إن المدينة ما زالت تحمل حزن فراق ولوعة اشتياق وتهمس بأناشيدي، كل هذا بعد عقدي السادس الذي شربت نخبه قبل شهر مضى، وكنت حينها وحيدا أطلع قطرات المطر الثقيلة وهي تقرع زجاج نافذتي بصخبها. قيل وكتب على لوح بريدي الإلكتروني بأن هناك من يسبح في النجوى والشجن حين يقرأ أناشيدي.

قيل وقيل وقيل.

حطت قدمي فوق إسفلت الشارع فسمعت وحشة الصمت تنط من بين فخاخ النوافذ.

- ارجع لفردوسك ودعنا في جحيمنا.

- عد لعاهراتك ولا تأتي لتلوث شرف بناتنا.

- أدر ظهرك وتأبط أشعارك الكسيحة واحرقها قبل أن نطفئ بها سجاننا.

سمعت نباح كلاب تجر عربة مزركشة يرن فيها ألف ناقوس، ترصدتني عيونها الخرساء، توقفت أمامي، كانت الشوارع معشوشبة بالفراغ المكين، وحدي بحذائي المطلي حديثا كنت أقرع الأرض وأسمع رجع صداه، بحثت في جيب السروال عن بطاقة العودة دعكتها بقوة.

كنت خائفا أن تلتهمها الكلاب.
قيل لي فصدقت
مزحة كانت تملؤها الأكاذيب
تتأهى لي من بعيد صوت كركرات طفولتي.
قيل ليفبكيت

غربة

أصحو فجرأ وفي وهدة الروح أتلمس العشب الندي المرمي
أمام نافذة شقتي، أتضرع للأفق المغلق الهابط بوحشته
جواري، ونُدف الثلج تهبط مترنحة بتؤدة فوق الحاجز الخشبي،
نثار الثلج ألمله وسادة رخية، وشاحا من لعل وأين، شيء من
الذاكرة يثقب ذاك الصمت، الصمت أكبر من صوتي، يخال لي
أن الشفق المرمي في البعيد وحيدا، مستنزفاً، ثقیل الخطى كان.

تخونني الذاكرة وتسكنني المساءات البليدة، عندها تخطر
القطارات دون مسافرين وصحف المساء تتوسدها المقاعد،
وظلالی تخترقها الريح ويقلقها الضجيج، والدروب الموحشات
ملأن جعبتي بالفحيح. في هذا الفجر الرمادي المبلل بالمطر
والثلج مرميا كنت في المتاهات وحيداً.

كل شيء أمسكه ساعة وجل لأطبع فوقه القبلات دون
حساب، أذر روحي في رتابة نقرات حبيبات المطر، أرصد
دحرجتها وهي ذاهبة لتتحر فوق أرصفة الشوارع، أعد صدى
خطوات العناكب المتعبة وهي تلحس جدران روحي، تفسد
رغيفي بنهمها، تبعثر أوراقی الندية دون كلل. وحيدا دون
صحبة كنت.

ممکن .. ممکن .. في هذا المساء الشتائي الذي يحمل أنقاله نحو
عامي الرابع بعد السبعين. ممکن..؟

لأنامل رقيقة ظليلة بأريج السنابل أن تمسك هذه الساعة جنح
فراشة وتدسه خلصةً بين شغاف قلبي، وريح أرجوحة من

ياسمين تعطر يومي المثلث بالصدأ وتضع هنا بين جدران
روحي شغف ذكرى كركرة يتردد صداها في صدر
شيخوختي. كركرات مبهمة تتنهد في الفجر لتداعب حلمة
عصية تجلس عند شرفتي دون وجل لتبعد الملل.

ممکن؟

أرى ضوء الشمس يتسلل رويدا رويدا ويمسد جدران
غرفتي الصماء. تنقلني خضرة الحقول لتلك المدن الصاخبة،
هناك حيث بدأ أصحابي لعبتهم الأولى دون حساب، هناك حيث
يلبث جسدي رخياً خفيفاً في غمر الشط وتناديني بخوفها
أصوات حشد نساء، لا تتبعد أيها الشيطان الصغير ! فأضج
ضحكا وألبط ألبط، ألبط في البعيد

على غفلة لكزنتي الغربية

- لا تذهب بعيدا !!

خزلان

قبل خمس سنين ترمّل أبي وجارتنا الجميلة أم رحاب ترمّلت بعده بعامين. دائماً ما كانا يتجاذبان أطراف الحديث في المساءات الظليلة كجارين عرفا بعضهما منذ زمن بعيد، وفي بعض أوقات يسمع لدردشتهما وشوشات غنج تخالطها ضحكات كتومة ولكنها موحية.

أنا ورحاب كنا نترقب حدوث ما يبهجنا طرباً واتفقنا بشيء من يقين على الرضا والافتناع بالقادم، وما كانت ساعات لقاءتنا لتخلو من حديث يشيع الأمل بنهاية سعيدة لقصتنا نحن. أبي لم يبلغ بعد الستين من العمر وأم رحاب في سنواتها الأربعين.

في العامين الأخيرين كانت ثمار شجرة السدر التي تتوسط دارنا ترصف بعناية في قعر سلة أنيقة مغطاة بقماش موشى بالدانتيل الزهري، لترسل في الأماشي الندية المختارة لصالح أم رحاب، وما علينا أنا وأخوتي سوى الافتناع بكمية لا تطفئ لنا لذة، مثلما كانت عليه حالنا بوجود المرحومة أمنا.

البارحة جلب أبي منشارا كهربائياً وراح يحز جذع شجرة السدر ليقطعها. كانت مسمّرة في الأرض وتجعّدات لحاءها تشي بسنوات عمرها الطويل. لم تكن هرمة ولكنها موغلة بالقدم. لم أساله ولا حاولت رده، وقفت أطالع ثنيات صدغه التي برزت بحدة، وارتعاش يديه وهما تحاولان بشيء من عدم اليقين الإمساك بمقبض المنشار. شعرت بما كانت تحمله روحه

من فجیعة ووجع خذلان، فقد حل رجل طارئ فی حیاة أم
رحاب اللئیمة، هكذا راح ینعثها.

دعوه يعد النجوم

قيل عنه مجنون، ولكن طبيب المستشفى أبعده عن مشفاه،
وأخبر أهله، بأن رجلهم هذا ليس بالتمام والكمال الذي يؤهله
ليكون أحد نزلاء مشفانا، فهو عجوز هادئ ساكن وديع،
والغرابية التي فيه، أنه لا يضر ولا ينفع، له غواية عد النجوم
فخذوه ليعد لكم ما شاء منها.

سمعوا حكمة الطبيب، وهو الأجدر من غيره، اقتنعوا
وتركوه وحيدا يعد نجومه، فلم تكن هناك ثمة طريقة لإصلاح
عطب عقله.

يومه الرتيب الممل يمتد ويطول بانتظار ليل ضاج بالنجوم
ليس إلا، هذا كل ما كان يرقبه وليس سواه.

كل ليلة حين يبدأ المساء بالهبوط رويداً رويداً فوق حواف
البيوت، وتدلهم الشوارع بالسواد لتخرج السعالى والبوم
والأقزام الشطار، وتبدأ صرخات الأطفال الجياع بحثاً عن
وجبة دسمة من حليب، وينهض صفير الجدران المرصعة
بالتقوب المحشوة بالحشرات، ويخترق الليل صرير الأبواب
وهي تفتح وتغلق على أسرار الناس وآهاتهم ونجواهم. عندها
تذبل الجفون نعاساً وتبدأ أولى النجوم البهية بالظهور، راعشة
في السماء الداكنة البعيدة الغور.

يفتح الرجل حدقتي عينيه على سعتهما، وترتسم عند حافة
فمه ابتسامة متغضنة كان قد كبها طيلة نهاره. يمد يده ويفرد
سبابته ويبدأ العد، واحدة، عشرة، خمسون، سبعون ثم يعاود

الكرة ويرفع سبابته ويبدأ شوطاً جديداً، واحدة، خمسون، مائة وعشرون.

يغلق جفنيه وتسترخي ذراعاه، وفجأة يستيقظ مذعوراً ليبدأ العد من جديد. هكذا كانت أمسياته تطوى وتعقبها أخرى، وتلهث ورائها ليال مدلهمة بسوادها الكالح أو مقمرات بستائر من نجوم مضيئة، وسبابته المتحجرة تقتحم سماء معركتها ببسالة نادرة .

ذاك الصباح الندي، حين تجلت السماء صافية والنسائم طرية تعلن عن فجر غائم. وكل ما هناك كان ساكناً رتيباً شاحباً، سوى صوت فاخنة تنوح وتسال عن أختها التي تاهت وسط غابات النخيل الممتدة في البعيد دون نهايات.

الجسد المتغضن العاري الصدر كان مثل صباحه المعتم شاحباً متيبساً، وأصبع السبابة مازال منفرداً عن باقي الكف المتصلبة، وحدقتا العينان مفتوحتان على سعتهما. وثمة نجمة سكنت في غور السماء البعيد كأنما تنوي وداعاً لمحبوب، بعد أن وضعها رقماً في ذاكرته الممسوخة.

كان هناك

كان غارقا في تيهه وضياح يطبقان على روحه طيلة يومه، حبيسهما دون فكاك. مازالت تتواتر بذاكرته المعطوبة لحظة من مساء أمس، حين لكزه أحدهم في خاصرته ونبيهه عن ورود اسمه الذي تردد على لسان الحارس ذي الشارب الكث والعيون الجردية الناطة. تسلسله في قائمة الأسرى المفرج عنهم، كان السابع عشر. نهض متباطئا وتلفت يمينا ثم شمالا بربكة وحذر، فربما يكون هناك أسير آخر بين هؤلاء يحمل ذات الاسم، فقد تكرر تعذيبه لمرات عديدة، مذ وطئت قدماه هذه الأرض الغربية أسيرا.

تشابه أسماء، هكذا أخبروه، في كل مرة يستدعونه للتحقيق، وكرروا ذلك بخبث. بعدها وربما قبلها بكثير، ما عاد يملك اليقين بحدوث هذا، ولا الاعتقاد بما حمله من أسم، ربما كان له ذلك، ولكنه كف عن البحث في باقي متعلقات حياته، لذا ما عادت التسميات بذات شأن.

ضربة موجعة خبطت رأسه تقلصت معها عيناه، فهرول بخفة ورأس مطأطأ، ليحشر جسده المتهالك عند أول كرسي جلدي في السيارة الزاهية خارج المعسكر نحو مطار المدينة.

تسلق سلم الطائرة بقفزات عجولة وجلس عند أقرب مقعد جوار النافذة. مد بصره وبعيون ذابلة فزعة حاول عبر النافذة لملمة ألوان البنايات المرصوفة عند الطرف البعيد. حمله بشرود وبلادة في الفضاء الواسع المغبر الممتد خلف مجموعة

الطائرات الجاثمة عند المدرج القريب، ثم أدار نظره نحو السماء الملبدة بالغيوم.

تابع غيمات نحاسية كانت تلامس جناح الطائرة في تلك الزرقة السماوية الباذخة المساحة، وضوء احمر يومض بذبذبات رتيبة عند الطرف المدبب لجناح الطائرة وهي تحلق عالياً. ود لو استطاع القفز والإمساك بكوة ذلك المصباح ليتدلى جسده ويتهادى سابحاً في الفضاء الشاسع، يتقاذفه الهواء بخفة مثل ريشة، يحرر صدره من أضرار القميص ويصرخ بأقصى ما تطلقه حنجرتة.

ساعة هبوط الطائرة كانت قدماه عند المغادرة وبخطوات قصيرة ثقيلة، مذعورتان تتلمسان السلم بتثاقل وحذر. أهمل أصوات كانت تحته للإسراع بالحركة والانتظام بالسير مع باقي رفاقه في المجموعة.

تأبط منشفة تدلت منها خيوط وكلح لونها بمرور سنوات التنقل بين أقفاص الأسر. سار وئيدا بتثاقل نحو باب سيارة النقل. شعر بشيء من رهبة وخوف، فرغب بالعودة حيث مقعده داخل الطائرة، بل الرجوع إلى هناك، عند الغرف ثقيلة الهواء شحيحة الضوء، يتردد بين جدرانها صراخ وأوجاع الأسرى، ويخيم الخوف في فضائها من المجهول حين إطلالة فجر.

سنة أعوام من رعب وتعذيب وأمراض، قضاها يتنقل مثل بهيمة بين سجن وآخر، من قفص لآخر. ما عادت ذاكرته تستحضر ولو نتقاً مما عافه هنا أو هناك، فجميع الأشياء

اقتلعت ملامحها من عقله، ولم يعد لها ما ينفع للبقاء، وبات يشعر برعب ثقيل يتلبسه كلما أجبر على الانتقال لمكان جديد. فما كانت تنتظره غير جولات تعذيب وكومة شتائم.

ساروا بهم نحو بناية مرمية بإهمال حيث الطرف القصي للمطار. رصف مع الآخرين أمام ضابط كان يلهج بترحاب مبتسر وابتسامة مغتصبة، تخرج من بين شفاه متييسة. سأله عن أسمه، فردد ما قيل له وحفظه لكثرة ما سمعه في الأسر، رجب مناهي مگوطر، وتوقف. ثم لفه صمت ثقيل، رغم سماعه إلحاح الضابط وبصوت أجش غاضب، طالباً منه إكمال باقي المعلومات. الاسم كاملاً، التولد، أسم الأم، العشيرة، هل راسلت أهلك أثناء الأسر، كيف كانت أوضاعكم هناك.

ركز نظره بوجه الضابط ببلادة وضحك، لحظة كان رأسه فيها يتسكع في تيهه البعيد، فاستدار وطالع وجوه باقي المجموعة، وكأنه يحثهم للإجابة بدلا عنه. أعاد الضابط بابتسامة شاحبة وبعجالة تكرار أسئلته. هز رأسه بتثاقل وتمتم بصوت خافت مرددا دون يقين، رجب مناهي مگوطر وضحك ولوح بيده في الهواء.

دمدم الضابط بشتائم مكتومة ثم اطرق رأسه نحو الأرض، وراح يلتقط أنفاسه بصعوبة، وصدر عنه لهاث مسموع. سحب الورقة التي أمامه وطالع بعض سطورها، ثم التفت صوب الباقيين، وبوجه شاحب صارم طلب منهم، إن كانوا يعرفون شيئا عن هذا الجندي .

— انصتوا جيدا، هل بينكم من لديه معلومة عن صاحبكم هذا، فليس له في هذه الأوراق غير الاسم .

- كان قد جيء به من أقفاص الأسر في الشمال القصي من تلك البلاد، قبل ما يقارب النصف عام، ولم نعرف عنه سوى اسمه، وكونه فاقدا للذاكرة، ولا يحمل أوراقا ثبوتية ولا حتى قرص دلالة، وعاش بيننا صامتا طيلة الوقت لا يشاظرنا غير فترات الطعام و أعمال السخرة. هذا كل ما عرفنا عنه.

مناهة

دفع مصراع الباب الموارد وجال بنظرات زائغة محتوى
الغرفة وابتسم وكأنه تذكر شيئا. التفت إلى الخلف وبمزاج
متوتر أغلق الباب بكلتا يديه بقوة.

كان يوما شديد القىظ في الخارج وها هو يعود مرغما بعد
جولة مسائية ما كانت مريحة.

لا تزعجه الكثرة المتفرعة للأزقة ولا ضيقها، ولكن ترعبه
تعرجاتها الحادة المفاجئة. يقلقه التغيير المتكرر لمخارجها
ومداخلها، ويمقت تغيرات ألوان واجهات المحال وصراخ
الباعة. يصاب بالربكة كل مرة يختار التجوال في تلك الأماكن
الغريبة وغير المريحة، ينتابه إحساس وكأن متاهات حلزونية
تبتلعه، عندها يبدأ الخوف يتسرب إلى روحه.

المرأة بوشاحها المرقط بالزهور الحمراء والملتف بإهمال
حول هامة رأسها ورقبتها. اقتربت منه وضغطت بأصابعها
حول ساعده وطلبت منه بنظرات حادة العودة إلى البيت.

أصيب بهلع حين وجدها تجاوره. لا يكن لها مودة، فهو
يخشى الغرباء وبالذات أمثالها. أجبرته بشيء من غلظة على
مسايرتها. أدخلته من الباب الواطئ الكالح اللون، ثم تركه يلج
تباعا غرفا مواربة الأبواب مغلقة النوافذ ومغطاة بستائر ثقيلة
كالحة اللون.

ما كان يود مطاوعتها والعودة حين قررت ذلك، وما عاد

يحتمل قبضة يدها ذات الأصابع اليابسة الثقيلة، وهي تسحبه
عنوة ليسير جوارها. يهابها ويخشى سماع صوتها، ترعبه
عينها، نظراتها تشعره بالإرباك مثل أصوات السيارات
وضجيج العربات حين تخطر جواره فجأة. وحده الخوف
يجبره على مطاوعتها لتفوده نحو الدار الموحشة الكئيبة.

— تعال يا أبي، أرجوك كفى عنادا فقد تجولت اليوم بما
يكفي، ألم تتعب، لقد حان وقت تناول الدواء ثم النوم.

— لا رغبة لي بدواء ولا أريد النوم في غير سريري .

— أعرف ذلك، لنذهب أولا ولك ما تريد.

ضيوف وملل

انتقينا الأمسية وتخاصمنا حول لون وطعم الشراب ومكان
جلوس الضيوف، ملأنا أباريقنا بالشاي والشراب وانتظرنا..
الشمس تهبط بطيئة نحو الغروب

ضيوفنا الذين دعوناهم لم يحضروا بعد، ربما ملوا دعواتنا
المتكررة ، هذا جائز، ولكن يقال، الغائب عذره معه، فبقيت
أطالع وجهها وهي تتفرس في بوجه عابس.

أباريقنا دافئة بانتظار، وصمت الهاتف لم ينقطع.

في الغرفة الباردة ننتظر الرنين ونتلفت حولنا. الصمت
وحده يذر شجون المصابيح في الشوارع، ونحن نتلصص من
خلف زجاج النافذة، نطالع تُدف الثلج تتدافع فوق الإسفلت
لتلونها بياضا. نتسقط طرق الباب بلهفة. في الصالة الضيقة
نتقابل وجهها لوجه. نقبع فوق الكراسي كجسدين متناظرين
وروحين متصارعتين، وهناك في الزاوية ودون قصد وضعنا
كرسيا واحدا يضحج به المكان. سمعت تأوهات مللها الحارقة،
وتغضن وجهها وهي تراقب تتأوبي.

- ألم تدون تأريخ الزيارة في العام الفائت؟

- إطلاقا.. كفي عن أساليب الاستفزاز هذه.. دونت الموعد
بداية الشهر المنصرم.

- أكيد ضيوفك تستهويهم المقاهي، ودعواتك دائما لا تروق
لأحد، هذا كل ما في الأمر.

سمعت الشخير يخالط صوتها وهي تتلفظ العبارة الأخيرة
بتثاقل.

- ربما أسأنا التوقيت، ومثلما قلت الغائب عذره معه، ألا
تكفين عن المناكدة؟ منذ عام ونحن كتماثيل شمع نتبادل
النظرات ونتنقل في المكان ولم يبق شيء نتداوله غير الشئام
و.....

حوار

في الجنوب البعيد، في قرية نائية. هناك حيث يغور الجوع والمرض بعيدا في تلك الشعاب والسواقي وبيوت الطين، ليغل حقه البشع في صدور البشر دون رقيب وحسيب. كان جبار مطشر مهودر بعامه الذي لم يدون في تأريخ محدد، يشذب سعفاته استحضارا لطلب جديد. فهو أمتن منذ طفولته صناعة المقاعد والمناضد من سعف النخيل.

يروى جبار مطشر مهودر بفيض من كلمات، ان عمره من عمر ملك العراق فيصل الثاني الذي قتلته اليد الظالمة في اليوم الأول من جمهورية عبد الكريم وعبد السلام. هذا ما يؤكده جبار مطشر بتلذذ يخالطه شيء من حزن، حين يُسأل عن عمره. يدون في ذاكرته هذا التأريخ مع تفاصيل أخرى يلذ له الحديث عنها، ويردف ذلك بالقول تأكيدا لما يروييه، بأنه سمع ذلك وغيره من عمته لطفية التي ماتت بمرض التدرن بعد وفاة أمه بعشرة أعوام، لذا أحتاج لمعرفة يوم مولده مدة ليست بالقصيرة، ودائما ما يقول بأنه ما عاد يأسف لضياح أيامه ولا حتى سنوات طويلة قضاها هاربا من الخدمة العسكرية، يجوب الهور ويعبر الحدود نحو إيران هربا من رجال الأمن العراقيين، ومن ثم يعود هاربا حين يطارد من الشرطة الإيرانية.

كان يمت شفتيه ويشعر بالنشوة وهو يتحدث عن عمره الذي يقرنه بولادة ملك العراق، بالرغم من أنه لا يعرف بالضبط في

أي عام أو يوم ولد ذاك الملك. ولكن جبار مطشر مهودر يقول إن عمته لطيفة كانت ذكية نبهه تؤرخ للقرية حوادثها وأبنائها، لذا لا يمكن الشك فيما تقوله أو تعلن عنه.

دائما ما يبدو جبار مطشر في حديثه عن عمره وكأن له علاقة قربي بذاك الشاب الجميل الطلعة الأنيق المظهر الذي اغتالته رصاصات رعناء لم تأخذ بالاعتبار حتى صلة الرحم التي تربطه بآل بيت النبوة، هكذا يصف جبار الملك فيصل الثاني والواقعة التي أسست للجمهورية الأولى في العراق.

يسرح في البعيد ومع دقائق فأسه فوق اللوح الخشبي وهي تشذب السعف وتنضده، يتذكر سنوات عمره التي سارت بعجالة دون أن يتغير حاله كما حال قريته المنسية الراقدة بين الماء والسماء.

فوق حصير جوار باب كوخه الطيني جلس جبار مطشر مهودر يبسط يده ويرفعها في عمل دؤوب مثابر، تحيطه كومة من سعف نخيل، وجواره جلس حفيده ذي التسع سنين ينظر لكف جده وهي تعمل بتروي ودقة فيشعر بذات الزهو الذي يعتمر قلب جده.

- جدي ، مَن هو بوش؟! قال الحفيد وهو يتطلع لفأس جده وهي تنقر برتابة غصن السعفة لتشذبه.

بوجه باش وابتسامة عريضة أجابه الجد

- بوش هو رئيس أمريكا.

- أهو من عشيرتنا؟!

- كلا يا ولدي فهو رئيس أمريكا.
- وأين تسكن عشيرة أمريكا؟
- أمريكا ليست عشيرة، أمريكا دولة يا ابني.
- وأين تقع أمريكا؟
- أنها بعيدة جدا عنا.
- أبعد من سوق الشيوخ؟
- ضحك الجد بصوت مكتوم قبل أن يرد، وراح يمسد شعر
حفيده :
- أبعد وأبعد.
- أبعد من الناصرية ؟.
- أبعد وأبعد يا ولدي. قالها وتغضن جلد خديه حين انفرج
فمه عن ابتسامته برزت معها عظام وجهه المكدود الهرم
وأسنان ثلمها دخان السجائر.
- أبعد من بغداد؟
- إنها بعيدة عنا جدا، بعد السماء عن الأرض.
- ولكن لماذا تأتي كل مرة وتضربنا بالقنابل مثلما يقول أبي.
- إنها تريد أن تأخذ نفطنا.
- ولكن جارنا أبو أرحيم جاء وأخذ منا صفيحة نפט برضانا
ودون أن يؤذينا.
- أنه قدر فرض علينا يا ولدي.

أبناء الله والدولة

سياج الحديقة المطلي حديثا باللون الأصفر الفاقع كان متكأنا البارحة، كنا السبعة من صبية المنطقة المتقاربين بالأعمار، ويا للصدفة الغريبة فنحن نتشابه بالكثير من الملامح والأجساد، لا بل حتى الثياب التي نرتديها كانت متقاربة في خطوطها وألوانها، لا أعتقد أن ذلك قد جاء مصادفة، فقد نشأنا في بيوت متلاصقة متداخلة، لذا كنا مثل مثل عائلة واحدة، من النادر أن نختلف على ما يكون بعيدا عن مشتركاتنا وطباع وسلوك أهلنا، حتى المزاج نتشابه فيه، رغم كثرة ما كنا نتشاجر حوله، والذي يعتبره أهلنا عراك صبية في بيت واحد، وما عادوا يولونه أهمية أو حتى انتباه. جميعا خرجنا بمزاج لا يختلف عن بعضنا البعض، سوى ما ينقاد لخليط من الجينات المتلاقحة والمتوارثة. حقيقة الأمر لم افهم هذا اللغز المحير، ولكن هذا الموضوع يتحدث عنه أخي الكبير مشرق بإلحاح مشوب بالتهكم، ويؤكد دائما مشرق الآخر ابن خالتي حليلة، ربما تلك المعلومة من مساوئ التعليم الذي زج فيه المشرقان نفسيهما. يشاطرني الاعتقاد بتشابهنا من يتفرس فينا أو يتحدث معنا، وما زاد من تشابهنا، أننا ولحد اليوم أبناء لأباء عاطلين عن العمل. آبأونا المرميون خارج الزمن، لم نعرف عنهم غير العمل في حِرف لا يفصحون عنها، وتلك المهن محدودة وموسمية وتبور في الكثير من الأحيان، حسب ما يعلنون، وما لا يعلنون. لا بل تتعرض للمد والجزر والعرض والطلب مع وضع المدينة، لا بل البلد بأكمله. هكذا يقولون ويبررون

بطالتهم الدائمة، واختفاؤهم الزمني القصير عنا. فالأوضاع السيئة للسوق جعلت الكثيرين من سكان الحي يفضلون الدردشة فوق أرصفة الشارع أو عند أبواب البيوت، هكذا يعلنون، ونحن ليس بعد أهلاً لمناقشة مثل هذا الأمر أو الظن بغيره.

هكذا كانت الأيام لا بل الأشهر تسقط سهواً أو عمداً من حساب الجميع. تدار بينهم ونستمع لها في الليالي المقمرة، تلك الحكاية المملة الرتيبة والسخيفة، يقال فيها دائماً، أبأؤنا كانوا قد قدموا إلى هذا الحي من كل فج، من مدن الشمال بجلال جبالها مثلما يقولون، من مدن الملح في الجنوب مثلما يصورون، من مدن الشرق حيث يستوطن الناس دون تعريف، كما يدعون، ومن الغرب أتوها حفاة بثياب رثة ودفوف ومزامير تعلن عن نفسها من بعيد. تجمعوا في تجاويف هذه البيوت الكالحة الألوان القميئة المؤسية، ليتعارفوا ويتقاسموا مصير واحد. هكذا يرون ونحن نستمع ببلاهة، وعلينا أن نورث لأبنائنا ذات الحكاية دون تحوير أو سهو، هكذا كان وسوف يكون حيناً وسكانه.

هكذا ذهبت بظنوني حول علاقتنا ووجودنا في الحي، نحن الذين يسمينا الكبار توددا عصابة صغار الذئاب، هل كنا فعلاً ذئاباً، من الجائز ذلك، فنحن مثلها نتشابه في السحنة وردود الفعل والعيون الصغيرة المتقدة، وأحياناً بكثرة وليونة حركات الجسد. ولو كان الفرو يغطيها مثلها لما ابتعدنا كثيراً عن شراحتها ووحشيتها.

البارحة كنا نحن المتشابهون السبعة والمساء يدفع حمرة

الشمس خلف نخل البستان القريب، نتضاحك ونلهو ونتنصت أصوات الأمهات المناديات على أطفالهن أن لا يتبعدوا عن الأبواب، فنشعر بأن التحذير ما زال يشملنا رغم تسميتنا بالذئاب، فتضغط أصابعنا على حديد السياج البارد ضجرا.

- مدينتنا الأخرى كانت كبيرة قبل أن نأتي إلى هذا الحي.

- وكيف عرفت ذلك وأنت ولدت هنا ؟

- لا يهم ذلك فأمي حدثتني عن مدينتنا الكبيرة.

- وما كانت تفعله أمك هناك.

- حدثتني أُمي عن جدي صاحب الثروة والبساتين والذي ما زال يعيش هناك.

- صاحب الثروة والجاه .. من أين جاءت خالتي حذام بتلك الحكاية؟! .. اذهب وأسأل أبيكَ الفاجر عن الحقيقة .. ابن القعبة ..

- ومنَ يا ترى أبيه فيهم ههههه ؟

فضج الشارع بضحكاتنا وتشابكت أيادينا بالعراك. لم تكن مفردة ابن القعبة لتعني شيئا ملوثا في حيننا المخبول، فهي تتردد يوميا مثل كلمتي نعم وكلا، بل كانت مفردة تلوكها الألسن بتلذذ، ولا تعني على الإطلاق واحدا منا دون سواه. تنسل من بين شفاهنا وتتكرر دون توقف أو حتى دالة، مجرد كلمة عابرة كنا نلوكها وصدورنا مليئة بالهزل. ولكنها مثيرة وضاجة ومشاكسة. مَنْ منا نطق بها أولا ومن هو المعني بها لا يهم، فنحن خليط هجين بسحنة متشابه. آبائنا المنكسرون لا

يبدلون جهدا في البحث عن أجوبة لكل ما يحدث، يتنفسون الجنس ودخان السجائر، ويرتشفون بقايا الخمر الذي يعافه الزبائن. أمهاتنا مثل دجاجات ينخن بسهولة لأي ديك يراودهن عن أنفسهن، فتنشطر بيضاتهن عن أفراخ مثلنا، يدعون بعد حين بعصاة صغار الذئاب. أبأؤنا يفسحون المجال وينسلون تباعا خلف الأبواب يتنصتون التوجع والآهات مثلما يتمايلون مع المزامير وصوت الصناعات والدفوف، ومهمتنا نحن عصاة صغار الذئاب المتشابه، ملء الحي ضجيجا ومراقبة البعيد.

أخي الكبير مشرق وابن جارتنا مشرق الآخر وابن أختي الكبرى المسمى مثلهم مشرقا ، كانوا في وقت مضى عصاة صغار الذئاب، مثلما يقولون، وقبلهم كان أبأؤنا أيضا. سلسلة طويلة من ذئاب تكبر وتكبر. ولكن لم يفصح مشرق وقتها عن مغزى جملته التي أخبرني إياها حين قال.

- نحن جميعا أبناء الله والدولة ذئاب كنا أم دجاجات. وراح في هستيريا من ضحك مجنون.

لوحة/ بيت من بيوت الله

بياض الفجر بالكاد يحرر نفسه من غيش الليل. مسجد للرب يتلظى بالنار كموقد. السخام غطى باحته بالكامل، وثقوب عميقة رصعت جدرانه، بدت وكأنها أفواه فاغرة، ما زال الدخان يسحب نفسه خارجا منها بثقل. نخلة عجفاء بروح مخلوعة يأكلها اللهب. الباب، تتدلى بقاياها قطعة صغيرة من فحم، بالكاد عالقة بالرتاج الحديدي الذي تشبث ملتصقا بالجدار، هذا ما تبقى من بيت قيل انه من بيوت الله.

من هنا مر الجيش الأمريكي، وعن قرب شديد جدا لامس جدران المسجد، لذا أرسل قذائفه وسيل رصاصه، دون عناية. مجمرة نار كانت، هذا ما حدث، فما احتاجت القذائف للدقة، فالهدف واضح وكبير وقريب جدا. كانت تعرف طريقها بحرفة ودهاء، وحركتها موجهة بكتلة واحدة. تومض مشتعلة تحرق وتهرس في طريقها كل شيء وتلهب جوف المسجد وجدرانه. لم يفعلوا ذلك سهوا، فتمة دوافع كثيرة لا يمكن الشك فيها والجدال حولها بعد الذي حدث، ربما كلمة واحدة كانت تكفي لتبرير كل تلك الوقائع. من الجائز أو على الأكثر أن منارته وفي الكثير من الأحيان تبدو مثيرة للريبة وتوحي للكثير من التحدي، أو أن الزخارف فوق جدرانه قد تكون لافتات تحريضية ساخطة، وهناك أشياء خفية تبرر الذي حدث. هكذا اعتقد وتجادل حوله جنود المارينز. ولكن لا مجال للتساؤل مع ما يصدر عن داخل المسجد من ضجيج، ولا وقت للتمييز عن وبمن وكيف، فلا وقت لإيقاف القرار ومن الصعب تجزئته.

الجوف الذي استعر مثل جحيم كان مدغماً مغلقاً على أسرار وخفايا تبتلعها جدران بناية الرب. منذ زمن مضى لم يعد المكان مأوى للمصلين، هكذا قيل عنه، وليس بإمكان أحد طيلة النهار، ولا حتى في ظلمة الليل، أن يمد بصره ويستطلع ما وراء بابه الموصدة. ليس مباحا معرفة ما يدور في الجوف سوى من أخفى وجهه بلثام. ولكن من أين لهذا المسجد كل ذاك الضجيج وآهات التوجع والأنين المكتوم؟!

في الجوف القهري المجنون ثمة عشرة أجساد متفحمة انتشرت كتماثيل برونزية عتيقة غطاها السخام وموهها الدخان. في الباحة هناك جوار المنبر المهشم ثلاثة جثث متفحمة جاورتها بقايا حديد ملتوي لبنادق. في تلك الظهيرة الملتهبة وفي الزاوية البعيدة عند نافذة التَّوْتُ وتهدلت عوارضها الحديدية، كان جسد متكور ما زال يمسك سيفاً. ليس للزمن في تلك اللحظة غير أن يفتح عدسته ليخطف تلك اللوحة المفزعة التي رسمها المارينز بجحيم قذائفهم، وعليه إغلاقها بعجالة وإلى الأبد، بعد أن دون في ذاكرته صورة الأجساد المتفحمة.

لا متسع من وقت لدى الجنود الأمريكيان لكي يفصحوا عما جرى في الداخل، فالداخل وحدهم من عرف أسرارهم، ولن يكون هناك مبرراً لكشف ما حدث، فكلمة مطاردة الإرهاب كافية جداً لتكميم الأفواه المعترضة المهددة.

من جلاله الصمت وفطر الحزن قلبه وقعد يلوك وجعه عن قرب، عجوز جلس القرفصاء عند الزاوية القصية من

الشارع، غارق في تفكير مربك. ما انفك ينظر نحو باب المسجد حتى بعد احتراقه. تتحرك عيناه وتدوران ببلاهة في الفضاء، فقد سره أحد الوشاة من اللئام قساة القلوب، قائلاً بخفية وحذر من أن يراه ويسمعه الآخرون، أن ابنه الذي اختطف منذ زمن مضى، موجود داخل المسجد، فربط الرجل هناك مثل معتوه، يسأل نفسه ويجيبها، لعل وعسى والنفوس لا تخلوا من رحمة رب العالمين، وفي بيوت عبادته خاصة، أليس هذه فطرة البشر؟. يا ربي، لم تكن لي مؤونة غير هذا الابن.

لم يسأله الجنود الأمريكيان عن سبب وجوده قرب المسجد، ولا عنّ لهم أن يلتفتوا له ليشاهدوا سيل الدمع الهابط بين ساقيتين غائرتين في وجهه المكدود الشاحب.

لم يكن لدى الأمريكيان متسعا من الوقت للانشغال بتوافه الأمور، ولا حتى لطمر الجثث المتفحمة أو التحقق من هوياتها، فما جرى لا يتسم في النهاية بأهمية عظيمة، وبيوت الرب لا يمكن أن تكون دائما للعبادة.

ثمن النصر

نهاية الحرب ما عاد الجنود المكدودون بحاجة لرصف الإطلاقات وتلقيم متاريس المدافع. صمت دوي الرصاص أيضاً، واختفى أزيز أسراب الطائرات والتماعها خلف الغمام.

عند شرفة تطل على ساحة الاحتفالات الكبرى، راح القائد يتبخر بغترته البيضاء وعقاله الأسود وعباءته الموشاة بالذهب. يلوك ابتسامته الحيوية لتبدو وكأنها لبطل هوليوذي. رفع يديه ولوح بحركة تفخيم يريد بها إمساك الغيم لشعوره الفياض بالنصر. أصابعه الغليظة تطيل متعتها وهي تخرم الفضاء ببطء شديد.

صورة بإطار منمنم وبحجم كبير تتدلى تحت سقف المنصة، يقبل فيها القائد رؤوس الأطفال مثل قديس، ويبارك لهم مستقبلهم، ويمسح على رؤوس المقعدين، ويمنح جنوده الأوسمة لشجاعتهم في القتل. بات المؤمن الفاضل ترتل له الأناشيد وتصدق له ألحان شعبية. هكذا بدا بعد أن خمد أوار الحرب واستسلم الخصوم.

لم يكن يعنيه دون ساعة نصره، مشهد رعيتة وهم يتجمهرون تحت قدميه مثل أنعام ملونة تتمايل رقصاً. أنشدوا له بعد أن تراحموا حشوداً دون نهايات. طوقت الجموع الحافات السفلى للشرفة. أرتال نساء متلفعات بالسواد ورجال بكامل أناقتهم وشباب ارتدوا تيشيرتات رياضية فاقعة الألوان وشابات يزهرن بفساتين فضفاضة.

احدهم بدأ قبل الجميع، مارثون السباق، أجتاز الساحة وحيدا، داس بقدميه الحافيتين العشب الندي، وكان بسرعه الفائقة مثل إطلاقه مسدس صهر حديد لها للتو، وصقل بعناية. أراد الوصول حيث يقف القائد، لكن رجال أشداء منعه. هرولت بعده جموع، أطلقت سيقانها للريح، لتحضر مشهد قيامة نصر القائد، المنتصب مثل تمثال مهيب عند الشرفة المكرسة لوحداثيته. منتصبا كان تحت رايات ترفرف عاليا معلنة له المجد والمسرة وعلى الناس الخضوع.

تسمرت بأعوامها الستين مثل شجرة خاوية، أحست بآلم حاد يضغط على رقبتها، وما عادت تستطيع اللحاق بالحشود. ثقل تنفسها وازداد لهاثها وارتخت قدمها، ترنحت واستدارت نصف دورة ثم هوت. كان العشب نديا لامس خدها الأيسر فاستطابت برودته. ولأنها اعتادت طيلة حياتها معالجة الأمور دون عون الآخرين، ولأن حياتها انفرطت فباتت تخلو من أهمية، لذا لا تود وهي تتوسد العشب، أن يرثى لحالها أحد، فأغلقت فمها تماما. ولكن عينيها بقيتا تطوفان بعيدا حيث يقف المنتصر عند منصة الاحتفال.

– ما الذي حدث يا أمي؟

– لا شيء يا ولدي فقط أردت الوصول حيث يقف المنتصر ولكني تعثرت.

– ولكنك تبدين متعبة.

– نعم ولكن علي الوصول إليه.

– انه يقف بعيدا، ولن يشاهدك فهو في ذروة نشوة انتصاره.

– أعرف هذا ولكن المهم أن أصل إليه.

– وما نفع وصولك حيث يقف؟

– أردت فقط أن يحقق أمنيتي في يوم نصره، أن يعيد لي

ولدي الوحيد الذي ذهب للحرب قبل ثلاثة أعوام دون أن أعرف عنه شيئا.

بوسترات

عيد الحب بوستر أول

مساء البارحة في سريريه الذي يصر عند أدنى حركة، فكر في الغد الذي يصادف يوم الحب، نعم عيد الحب. عندها كان وحيدا في تيهه ويقينه، شعر بثقل ذلك التفكير وهو يحاور نفسه عما يفعله يوم غد، لا حبيبة تنتظر تودده وقبلاته ولا تخطر حتى في أحلامه.

سواه وعجوز تدثرت في فراشها قرب باب الغرفة تحملت سنواته الأربعين بأوجاعها وأفراحها ومتاهاتها، وهبته حبها دون منة. من زاوية في غطاء السرير ترقبه الآن بابتسامتها الرقراقة التي اعتادت أن تمنحه إياها لتطمئنه وتطمئن نفسها بوجوده.

فكر، الحب لجميع الناس ربما يعوض القلب عن فقدان فرح. ترى كيف يستطيع أن يُفرح الناس في عيد المحبة، أن يبت في أجسادهم وأرواحهم فرحاً غامراً وبهجة دون ثمن ويجعلهم يعافون الضغائن ويبعدون ألم الخيبات ولو لوقت قصير. أن يذكرهم بيوم بهجة وحب، يسعدهم ويجعلهم يشاطرونه تلك اللحظات.

لسعة برد جعلته يرفع ياقة سترته ليغطي بها رقبتة، ثمة

مرور كثيف للناس، وحمرة الغروب تنسل برتابة من فوق
سطوح البنايات. فضل الوقوف في الزاوية اليسرى من شارع
السعدون عند بقايا مكتبة المثنى التي ما عادت تعني لصاحبها
قاسم الرجب غير وجع في القلب.

وقف متسماً جوار الحائط الذي لوثته بقايا ملصقات
الانتخابات الماضية، حمل بيده اليسرى باقة ورود جوري
حمراء وراح يطالع المارة بشغف وثمة ابتسامة ترتسم عند
غمازتين تطرزان خديه.

مد يده ولوح بوردة، تلقفها عجوز رث الثياب وابتسم وهو
يشمها بنفس ذابل.

قفز صبي عابث وبلمح البصر خطف الوردة من يده
الممدودة، ضحك ملء شذقيه وهو يراقب الصبي يختفي وسط
الزحام ويلوح له بالوردة.

مد يده ولوح بوردة جديدة، أشاحت الفتاة وجهها عنه
وأسرعت في خطاها.

مد يده ولوح بوردة لفتاة قادمة أخرى، أخذتها وقربتها من
أنفها وسألته. ما سعرها؟.

ليست بثمن، إنه يوم الحب وأنت تستحقينها.

بكل ما أوتيت من قوة رمت الوردة بوجهه .. وراحت
مسرعة تثرثر بموجة شتائم.

بوستر ثاني

مساء البارحة في سريره الذي يصر عند أدنى حركة، فكر في الغد الذي يصادف يوم الحب، نعم عيد الحب. عندها كان وحيدا في تيهه ويقينه، شعر بثقل ذلك التفكير وهو يحاور نفسه عما يفعله يوم غد، لا حبيبة تنتظر تودده وقبلاته ولا تخطر حتى في أحلامه.

سواه وعجوز تذررت في فراشها قرب باب الغرفة تحملت سنواته الأربعين بأوجاعها وأفراحها ومتاهاتها، وهبته حبها دون منة. من زاوية في غطاء السرير ترقبه الآن بابتسامتها الرقراقة التي اعتادت أن تمنحه إياها لتطمئنه وتطمئن نفسها بوجوده.

فكر، الحب لجميع الناس ربما يعوض القلب عن فقدان فرح. ترى كيف يستطيع أن يُفرح الناس في عيد المحبة، أن يبيت في أجسادهم وأرواحهم فرحاً غامراً وبهجة دون ثمن ويجعلهم يعافون الضغائن ويبعدون ألم الخيبات ولو لوقت قصير. أن يذكرهم بيوم بهجة وحب، يسعدهم ويجعلهم يشاطرونه تلك اللحظات.

لسعة برد جعلته يرفع ياقة سترته ليغطي بها رقبتة، ثمة مرور كثيف للناس، وحمرة الغروب تنسل برتابة من فوق سطوح البنايات. فضل الوقوف في الزاوية اليسرى من شارع السعدون عند بقايا مكتبة المثنى التي ما عادت تعني لصاحبها قاسم الرجب غير وجع في القلب.

وقف متسماً جوار الحائط الذي لوثنه بقايا ملصقات الانتخابات الماضية، حمل بيده اليسرى باقة ورود جوري حمراء وراح يطالع المارة بشغف وثمة ابتسامة ترتسم عند غمازتين تطرزان خديه. يوم الحب، الناس تستحق الفرح في هذا اليوم هكذا فكر.

مد يده ولوح بوردة، تلقفها عجوز رث الثياب وابتسم وهو يشمها بنفس ذابل.

ققز صبي عابث ويلمح البصر خطف الورد من يده الممدودة، ضحك ملء شذقيه وهو يراقب الصبي يختفي وسط الزحام ويلوح له بالوردة.

مد يده ولوح بوردة جديدة، أشاحت الفتاة وجهها عنه وأسرعت في خطاها.

اقترب منه شرطي وأعقبه ثلاثة آخرون، طوقوه. أحدهم أمسك ساعده بغلظة ولؤم والآخر سحب باقة الورد ورمها بعيداً.

- هل اعتدت التحرش بالفتيات أيها السافل، لم نشاهدك في هذا المكان سابقاً، في مركز الشرطة سوف نريك كيف يكون مصير من يعاكس بنات الناس.

بوستر ثالث

مساء البارحة في سريره الذي يصر عند أدنى حركة، فكر في الغد الذي يصادف يوم الحب، نعم عيد الحب. عندها كان وحيدا في تيهه ويقينه، شعر بثقل ذلك التفكير وهو يحاور نفسه عما يفعله يوم غد، لا حبيبة تنتظر تودده وقبلاته ولا تخطر حتى في أحلامه.

سواه في هذا الليل وعجوز تدثرت في فراشها قرب باب الغرفة تحملت سنواته الأربعين بأوجاعها وأفراحها ومتاهاتها، وهبته حبها دون منة. من زاوية في غطاء السرير ترقبه الآن بابتسامتها الرقراقة التي اعتادت أن تمنحه إياها لتطمئننه وتطمئن نفسها بوجوده.

فكر، الحب لجميع الناس ربما يعوض القلب عن فقدان فرح. ترى كيف يستطيع أن يُفرح الناس في عيد المحبة هذا، أن يبيت في أجسادهم وأرواحهم فرحاً غامراً وبهجة دون ثمن، ويجعلهم يعافون الضغائن ويبعدون ألم الخيبات ولو لوقت قصير. أن يذكرهم بيوم مبهج مفرح، يسعدهم ويجعلهم يشاطرونه تلك اللحظات.

لسعة برد جعلته يرفع ياقة سترته ليغطي بها رقبته، ثمة مرور كثيف للناس، وحمرة الغروب تنسل برتابة من فوق حافات البنايات العالية. فضل الوقوف في الزاوية اليسرى من شارع السعدون عند بقايا مكتبة المثنى التي ما عادت تعني لصاحبها قاسم الرجب غير وجع في القلب.

وقف فرحاً جوار الحائط الذي لوثته بقايا ملصقات الانتخابات الماضية، حمل بيده اليسرى باقة ورود حمراء وراح يطالع المارة وثمة ابتسامة ترتسم عند غمازتين تطرزان خديه.

مد يده ولوح بوردة، تلقفها عجوز ربّ الثياب وابتسم وهو يشمّها بنفس ذابل.

قفز صبي عابث وبلمح البصر خطف الوردة من يده الممدودة. ضحك ملء شذقيه وهو يراقب الصبي يلوح له بالوردة من بين الزحام.

مد يده ولوح بوردة جديدة، أشاحت الفتاة وجهها عنه وأسرعت في خطاها.

اقترب منه شيخ معمم، كان يطم ويزم شفتيه الغليظتين وكأنه يلوك طعاماً. موجهاً سيل كلمات بصوت مرتفع، ألا تستحي يا ولدي من وقفك هذه، تحتفل بيوم الفسق والفجور، هذه العادة القبيحة التي ابتدعها اليهود والنصارى ليفسدوا النفوس ويدعون بها لممارسة الزنا والمحرمات، عتبي عليك أيّها الشاب العراقي، كيف تقلد أهل الكفر بأعيادهم، هل نسيت

أعيادنا وأفراحنا لتذهب وتفتبس دينك من خارج ديار الإسلام،
قبحك الله على فعلتك هذه.

لم يكمل الشيخ جملته، وكان هو يحدق ساهما بوجه الشيخ،
حين شعر بمجموعة من شباب ينقضون عليه فجأة ويخطفون
وروده ليرمونها وسط الشارع، ثم طرحوه أرضا وانهالوا عليه
ضربا. كانت السيارات المسرعة تدهس وروده لتحيلها لفتات
غائم الملامح، ومن بين أيدي الشباب المرتفعة والهابطة شاهد
ابتسامة صفراء كانت تغطي وجه الشيخ المعمم

بوستر أخير لعيد الحب فواجع أيضا.

مساء البارحة في سريره الذي يصر عند أدنى حركة، فكر في الغد الذي يصادف يوم الحب، نعم عيد الحب. عندها كان وحيدا في تيهه ويقينه، شعر بثقل ذلك التفكير وهو يحاور نفسه عما يفعله يوم غد، لا حبيبة تنتظر تودده وقبلاته ولا تخطر حتى في أحلامه.

سواه وعجوز تدثرت في فراشها قرب باب الغرفة تحملت سنواته الأربعين بأوجاعها وأفراحها ومتاهاتها، وهبته حبها دون منة. من زاوية في غطاء السرير ترقبه الآن بابتسامتها الرقراقة التي اعتادت أن تمنحه إياها لتطمئنه وتطمئن نفسها بوجوده.

فكر، الحب لجميع الناس ربما يعوض القلب عن فقدان فرح. ترى كيف يستطيع أن يُفرح الناس في عيد المحبة، أن يبت في أجسادهم وأرواحهم فرحاً غامراً وبهجة دون ثمن ويجعلهم يعافون الضغائن ويبعدون ألم الخيبات ولو لوقت قصير. أن

يذكرهم بيوم بهجة وحب، يسعدهم ويجعلهم يشاطرونه تلك اللحظات.

لسعة برد جعلته يرفع ياقة سترته ليغطي بها رقبتة، ثمة مرور كثيف للناس، وحمرة الغروب تنسل برتابة من فوق سطوح البنايات. فضل الوقوف في الزاوية اليسرى من شارع السعدون عند بقايا مكتبة المثني التي ما عادت تعني لصاحبها قاسم الرجب غير وجع في القلب.

وقف متسماً جوار الحائط الذي لوثته بقايا ملصقات الانتخابات الماضية، حمل بيده اليسرى باقة ورود جوري حمراء وراح يطالع المارة بشغف وثمة ابتسامة ترتسم عند غمازتين تطرزان خديه.

مد يده ولوح بوردة، تلقفها عجوز رث الثياب وابتسم وهو يشمها بنفس ذابل.

قفز صبي عابث ويلمح البصر خطف الورد من يده الممدودة، ضحك ملء شذقيه وهو يراقب الصبي يختفي وسط الزحام ويلوح له بالوردة.

مد يده ولوح بوردة جديدة، أشاحت الفتاة وجهها عنه وأسرعت في خطاها.

توقفت سيارة بيك آب بيضاء جوار الرصيف، خرج منها شاب رث الثياب بعينين قلقتين وكأنهما تبحثان في المكان عن شيء مفقود. سار جواره ثم تخطاه، رجع وطلب منه ورده فناوله إياها وابتسامة فرح غامر غطت محياه.

- أرجو أن لا تبعد نظرك عن سيارتي، لن أتأخر، بضع
ثوان لا غير.

بضع ثوان، اهتز المكان وارتجت الأرض من هول
الانفجار.

حين انقشع الغبار كان جسده الواهن مسوداً دون ملامح،
بقايا كومة لحم متفحم تنتفض وجعا، وكف تطبق أصابعها حول
حزمة من عيدان. الدم القاني اختلط بوريقات الورد ليغطي
الجدار الذي اختفت عنه ملامح ملصقات الانتخابات الماضية.

صدر للمؤلف

1. "فيما تبقى"، مجموعة قصصية، 2010.
2. "كارل ماركس في العراق" (رواية) (تخيل نقد ماركس للواقع العراقي المعاصر) 2017.
3. "من يسمّل عين الحرب"، إعادة إصدار المجموعة القصصية "فيما تبقى" منقحة وموسعة، 2017
4. "هارب من الإعدام"، تحرير وتقديم مذكرات الدكتور خليل عبد العزيز السياسية 2018.
5. "بوسترات" (المجموعة القصصية) 2021. إصدار دار نشر اوروك ميديا للإعلام والنشر - ستوكهولم - السويد. النسخة الرقمية "ألف ياء"- تموز/ يوليو 2025
6. "الإبهار في النص الغنائي" (سيرة وأعمال الشاعر زهير الدجيلي)، 2022.
7. "هناك لي أهل في البعيد (عراقو)" (مزيج من الاجتماعي، التاريخي، والخيالي، مستوحاة من قصة أهل عراقو في أفريقيا)، 2023.